محور العدد

التأثيل والاصطلاح

خالد اليعبودي[1]

إذا كان "الاشتقاق" آصل أصول اللسان العربي [والألسنة السامية عموما]، كما تنبّه إلى ذلك الأسلاف منذ سالف الأوان؛ فإنّ التأثيل متجذّرٌ في لا وعي المتكلم سواءٌ كان عربيا أم ناطقا بلسان آخر من الألسنة الطبيعية، ولا شكّ أنّ من دلائل هذا التجذّر مزاحمة التأثيل الشعبي للتأثيل العلمي مزاحمة تكاد يستعصي معها التفريق بينهما بشكل مقنّن وواضح، يتضح ذلك في "كراتيل أفلاطون"[2]، كما يتضح أيضا باللفظ المعرّب "بيليكي" الذي تفوّه به أحد المنتخبين على سدّة البرلمان ببلد من بلدان الشمال الإفريقي، أثارت المفردة ردود أفعال متباينة تجاه مستعملها، دفعت البعض إلى البحث عن جذر الكلمة وأرومتها الأصلية[3]. بل حفّز الكثير على التقصي في جذور مفردات أخرى من قبيل: "الديبشخي"[4]، ودون حاجة إلى التحرّي في صحة هاته التأثيلات لارتباطها بالعاميات، فما يهمّ بالأساس هو أنّ التأثيل عملية تقترن بإعمال الفكر في تتبّع أصول الألفاظ، بهدف توضيح أبعادها الدلالية ومساراتها التاريخية والتثبّت من طرق انتقالها بين الألسنة الطبيعية.

- **فكيف عرّف اللسانيون "التأثيل"؟**
- **ما أبرز محطاته التاريخية؟**
- **ما هي أوجه تداخله بالاشتقاق؟**
- **ما العلاقة بين القواميس التأثيلية والقواميس التاريخية؟**

يرتكز التأثيل[5] ـ الذي يتمثل موضوعه في إعادة بناء تاريخ الكلمات منذ نشأتها الأولى مع تحديد تحوّلاتها المتتالية ـ على معيار مزدوج:

1- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط- المغرب

2- سيأتي ذكر بعضها بهذا المقال.

3- اجتهد بعضهم فكتب في مواقع التواصل الاجتماعي بأنها نقلٌ مُحرَّف للفظ فرنسي لطالما تفوّه به المستعمِر كلما استولى على غنيمة من غنائم البلدان المستعمَرة بشمال إفريقيا. لا سيما غنائم رجال المقاومة، وهو: bel acquis ».

4- "الديبشخي" مفردة منحوتة في رأي هواة التأثيل من كلمتين استعملهما اليهود المغاربة في سياق السخرية، وهما: "الديب" "سخي" بعبارة يتساءل ناطقها: "هل رأيت طوال عمرك الذئب سخيا"؟ [واش عمرك شفتي الديب سخي؟]، نتيجة نطق السين شينا في كلام اليهود، واقتحم المنحوت العامية المغربية وأصبح من رصيدها المعجمي.

5- من الباحثين القلائل الذين صنفوا كتابا مستقلا في الموضوع: "شارل بروكر" (Charles Brucker)، انظر:

-Charles Brucker (1988), L'étymologie, Presses Universitaires de France, Que-Sais-Je ?

بتحديد "الأثلة"[1] في كلّ محطات الكلمة من جهة، وبحصر طبيعة العلاقة القائمة بين "الأثلة" و"المشتق" من جهة ثانية".[2]

إذا سلّمنا بدْءا بأنّ التأثيل علمٌ يدرُسُ أصلَ الكلمات، أو بتعبير آخر: العلاقة –الصورية والدلالية- القائمة بين الكلمة والوحدة الأقدم تاريخيا التي اشتُقت منها؛ فإنه من اللازم تحديد بعض النقاط الضرورية.

يستلزم البحثُ عن البدايات في أوّل خطوة اتخاذَ موقفٍ إزاء استكشاف الأشياء عبر تأويل اللغة كما تَقَدَّمَ في تصوّر الإغريق القدامى، إذ اعتبروا أنّ التأثيلَ نوعٌ من الكشف عن المعنى الحقيقي للكلمة (étumos)، فالمعنى الحقيقي ل "Plume" [ريشة الكتابة] يعود إلى " Plume d'oiseau" [ريشة الطير]، ما يلقي الضوء على طبيعة هذه الأداة وأصلها وتاريخها.[3]

موقفٌ لا ينشُزُ عن الموقف الفلسفي، يستهدف توضيح الرابط بين الاسم والشيء، اتخذ في العصر الحديث منحًى مغايرًا ذا بُعد تأريخيّ يُفسِّر التوجّه إلى جعل التأثيل في الوقت الحالي "تأريخًا للكلمات" بتتبّع تطوّراتها الصورية والدلالية منذ ظهورها لأول مرّة إلى الحقب الحديثة، وإعادة صياغة البنى الداخلية للكلمة في نطاق الترتيب التزامني، وقد سبق للمعجميين منذ "جيلييرون" (Gilliéron) أنْ عبَّروا في هذا المضمار عن استعدادهم لإجراء تحليل باطني (عميق) للوحدة اللغوية.

جرَتْ العادة عُمومًا أنْ يتمّ التمييز من جهة بين دراسة بناء الكلمات وتوليدها ودراسة تسلسُلها التاريخي - الذي يتطلب توظيف القوانين والقواعد المتحكِّمة في هذا النوع من الدراسة (إنه التأثيل المحْض[4])- والتأثيل التاريخي من جهة ثانية المختصّ بالنظر في الوقائع الضمنية التي تتستّر وراء اللسان. إنهما مظهران متلازمان يشكّلان وحدة هجينة تتصل بعدّة تخصصات معرفية، وترتكز على معايير تجريبية، مسألة أثارت جدالا محتدما بين الدارسين: "هل التأثيل علم أم فنّ؟".[5]

يجزم 'شارل بروكر' بالنظر إلى نتائج الأبحاث، سواءٌ التاريخية أم اللسانية، بأن التأثيل علمٌ مستقلٌ بذاته.[6]

إنّ إعادة تشكيل الوقائع التاريخية واللسانية يسيران في منحى واحد، ويستندان إلى معيارين: معيار الاتساق الصوري ومعيار التوافق الدلالي، يتضح ذلك في ربط الفعل اللاتيني "carpere" (cueillir:) (: اقتطف) بالكلمة الألمانية "Herbst" automne &) : vendange) (خريف- موسم قطاف) المأخوذة من الألمانية القديمة العالية "Herbist" بنفس المعنى، كما يتضح في ربط الفعل اللاتيني بالكلمة الإنجليزية "harvest" (récolte,

1- (الأصل التأثيلي) [Etymon]

2 - Guiraud Pierre (1967) ; Structures étymologiques du lexique français, Larousse,; p : 5.

3- بيير كيرو (1967)، نفس المرجع السابق، ص:5.

4 - étymologie pure.

5- يُراجع في هذا الصدد تعريف 'التهانوي' (المتوفى ما بعد سنة 1158هـ/ 1745م) لمفهوم "الاشتقاق" وتمييزه بين بُعْديه العلمي والعمَلي، فالأول متصل بالزاوية التاريخية والثاني مرتبط بالناحية التوليدية، وسنورده فيما يأتي.

6- موقف بزغ في العصر الحديث بالخصوص، انظر: شارل بروكر(1988) المرجع السابق.

: moisson) (: حصيلة، حصاد) انطلاقا من الجرمانية "Karpist" (وقت جمع الغلة) في مقابلة مع اليونانية القديمة "Karpos" (: fruit) (فاكهة).

هناك مثالٌ آخرٌ أكثر تعقيدا، غير أنه دالٌّ للغاية، يتمثل في الكلمة اللاتينية: "cerebrum" (: دماغ، رأس، عقل)، تصغيره: "cerebellum"، إذْ أنتجَ في الفرنسية "cervelle" (دمِيّغ) (في اللاتينية: "cerebella")، و"cerveau" (: دماغ) (في اللاتينية "cerebellus" في مقابلة مع الألمانية "hirn" ومع اليونانية القديمة "Kara"). بَعد أن يقوم المؤثل بالتعليل الدلالي ينتقل إلى التعليل الأصواتي بالاستناد إلى القوانين التطورية التي تقابل باطراد بين " -h" الجرمانية و"-k" اليونانية واللاتينية، كما تقابل على نحو عام بين انسدادي خافت[1] شائع بالكثير من الألسنة الهندأوروبية (ما عدا السنسكريتية) وانسيابي خافت[2] شائع بالجرمانية.

لزَمَ التأكيد من زاوية نظر لسانية محضة على أنَّ القواعد والقوانين الأصواتية والصرفية إذا كانت أساس التقابل التأثيلي، فإن هذا التقابُل يقدّم نتائج مثمرة ذات أثر إيجابي على الدلالة وبنية المعجم وتوليد الكلمات، بينما في الاتجاه المعاكس تظلّ هذه القوانين الأصواتية في ظل علاقة سببية ضيّقة محصورة في التجاورات النسقية التي تُعدّ بُغية البحث اللساني.

لا يبعُدُ هذا الموقف –إلى حدّ ما- عن مواقف بعض الأقدمين، بل عن مواقف من يُدْرجوا ضمْن اتجاه التأثيل المُتوهّم[3].

يتجلّى التحوّل المنهجي بالسنوات الأولى من القرن 19 الميلادي في بروز المنهج التاريخي والمقارن المستند أساسا إلى التطابُقات الأصواتية وسيستفيد علم التأثيل من تطور اللسانيات ومن نماذج النحاة الجُدد ومن نتائج أبحاث اللسانيات الجغرافية وبنيوية دي سوسير وتقدّم اللسانيات التزامنية في آخر توجهاتها، وقد نعتها "بيير. كيرو" (P.Guiraud) بالمنهج المعجمي- التاريخي الذي لا يستهدف فقط إعادة ترميم القطع المنعزلة والمتفرّقة وإنما أيضا تجميع وحدات أُسَرٍ بالكامل (من الناحيتين الصورية والمضمونية)[4]، وقد بَزَغَ في مقابل ذلك (تقابُلٌ جزئيّ فقط) منهجٌ جديدٌ يتجوّز المعطيات الخارجية للمنهج التاريخي وينحو نحْوَ إعادة بناء تتوخّى البنى العميقة بالانطلاق من دراسة النسق اللساني. يرسُمُ هذا التجدُّدُ المستمرُّ -غير المنفصل عن الأسس التراثية الأكثر قدما- مُستقبل التأثيل بوصفه علمًا.

° مسارات التأثيل عبر التاريخ

- مواصفات التأثيل بالعصور القديمة إلى عصر النهضة مرورا بالعصر الوسيط:

يتمثّل الهدف من التأثيل - كما رسمَه "أفلاطون" في "الكراتيل" - في تفسير التسمية وتعليل ثبوتها. إنّ الأساسَ التأثيلي لكلمة ما يغدو شفّافا لدى الإغريق والرومان بفضل علاقات

1 - occlusive sourde
2 - Spirante sourde
3 - étymologie fantaisiste
4 - Guiraud (P) (1979), L'étymologie, coll « Que sais-Je ?», Paris, PUF, 4° éd.

خاصة. يتعلق الأمر بتفسير الرابط القائم بين "fatum" و"fari"[1] تدلّ كلمة "fatum" " ce qui est dit" (prédit) على "المقول" و"prédit" (: المتوقّع)، أفضى التوقّع إلى ظهور مفهوم "prédistination" (:التوقّع القبلي) (: التكهّن)، الذي ولّد بدوره فكرة "destin" (:القدَر).

يُعتبر كتاب "أفلاطون": "الكراتيل" شديدَ الأهمية لمعرفة طبيعة التأثيل لدى الإغريق، لا تقتصر حوارات التصنيف على فحص نقد العلاقة بين الاسم والشيء؛ وإنما يُسجّل أيضا إمكانات التغيّرات الأصواتية بالكلمات. لقد كان "أفلاطون" مقتنعا بوجود صلة دلالية بين الكلمة الأصلية وما اشتُقّ عنها. ولم يُميّز ساعتها – على غرار ما فعل "سان أغوسطين" (Sain-Augustin)- بين "التماثل" (similitude) و"الاستمرارية" (vacinitas) و"التعارض" (contrarium).

نشعر منذ عهد "هوميروس" (Homère) إلى عهد "أفلاطون" (Platon) بحصول تطوّر في تصوّر "التأثيل"، بدأ الأمر بتحليل ساذج للكلمات، وانتهى في نهاية المطاف بتأمّلات تخصّ طبيعة اللسان وقوانينه.

بذلَ فيلولوجيو الإسكندرية - في وقت لاحق - جهودًا قُصوى في عنايتهم بالمقاصد اللسانية المتميّزة بقدرتها الاستقصائية، واستثمروها في دراسة النصوص وتفسيرها. وغدا التأثيل عنصرًا استدلاليا بالمدرسة الهيلينية ووسيلة لشرح مضامين النصوص.

جعلَ أصحاب المدرسة الرواقية من بنية الجملة ومن التأثيل الميسمَ المميّز لفلسفتهم، فما يهمّ الرواقيين هو المضمون الدلالي للكلمة، غير أنّ العالم الروماني "فارون" (Varron) [عاش بالقرن الأول ق.م، توفي سنة 27 ق. م بروما] يرجع له الفضل في الربط بين وجهة النظر الصورية للنحاة ورأي القائلين بالعلاقة الدلالية التي تصل الكلمة الأصلية بآخر محطة من محطات الإجراء التأثيلي.

من العبث البحثُ عن معنى خاصّ للتأثيل لدى "دونات" (Donat)[2] [عاش في القرن الرابع الميلادي] أو "بريسيان" (Priscien) [عاش في القرن السادس الميلادي]؛ ف"الاشتقاق"[3] هو الذي شكّلَ موضوع تصانيف متعددة لدى "بريسيان". إذ هناك من الزاوية الصورية علاقة وثيقة بين "التأثيل"[4] و"الاشتقاق"[5] بتطابُق "الاشتقاق" مع "بناء" الكلمة[6] في "consulendo" المشتقة من "consul"[7].

نطالع بالقرن الثاني عشر الميلادي سَبِيليْن يُبرزان الاهتمام ب"الاشتقاق"، فمن جهة: ازداد الاهتمام منذ "فارون" (Varron) بالصلة القائمة بين "الاشتقاق" و"التأثيل" كما هو مذكور في أعمال "إيزيدور دي سيفِيَ" (Isidor De Seville) [عاش ما بين القرن 6 م و7 م). ومن جهة أخرى: نتابع مقاصد النحاة المُوَجهة أساسا نحو الاشتقاق.

---

1 - M, Pfister (1980) ; Einfῦhrung in die romanische Etymologie, Darmstadt, wissenschaftliche Buchgesellschat, p :1. عن شارل بروكر (1988)، نفس المرجع السابق

2 - R, Klinck, Die Lateinische Etymologie des Mittelalters, Mῦnchen, Fink, 1970.p :24. عن شارل بروكر (1988)، نفس المرجع

3 - Derivatio

4 - Etymologica

5 - Derivation

6 - composition

7 -Grammatici Latini, éd Keil, Leipzig (1857-1870).

وَلجَتْ بالعصر الوسيط الصور البيانية[1] (وهي كل صورة تتميّز بتحوّل معناها عن المعنى الأصلي) من الباب الواسع إلى عالم التأثيل بفعل جهود "إيزيدور دي سيفيّ"، إذ يُعتبر كتابه: "Etymologiae sive origines" كشّافًا نقديا وتأويليا مُسهبًا لكل المعارف الإنسانية، استندت التأثيلات الواردة بهذا التصنيف إلى الصور البيانية. وغالبا ما نُطالع حالات "قلب المعنى"[2] عند "إيزيدور"، مثال ذلك إرجاع "Lucus" بمعنى "الخشب المقدّس" إلى عبارة "non lucere" الدالة على "غياب الوضوح".

يتّضح إذن بجلاء أنّ المصنّف يربط بين "Lucus" و"الغموض" (Mystère)[3]. كما يستدعي لفظ "Caelum" (:السماء) لفظ "Celat" (:الخفاء) عند "بابياس" (Papias) [عاش بالقرن الحادي عشر الميلادي] لأن السماء تخفي ألغازها.

يسري هذا الإجراء أيضا على أسماء الأعلام، يجزم "بابياس" في هذا الإطار بأنّ "Itema cedo..hic cesar...vel quod abstractus fuit de ceso ventre matris" - بمعنى: من "de cedo" - تولّد اسم "Cesar" لأنه تمّ إخراجه من بطن أمه بعد شَقِّه. يستند الكاتب إلى حجج غالبا ما تكون جليّة: وهي العلاقة بين الكلمة والشيء المُسمّى، فكلمة "fleuve" (:النهر، مكان جريان الماء) تبدو كأنها مأخوذة من: "fleure " الدالة في اللاتينية على: "ما يسيل"، غير أن التأثيل في العصر الوسيط عَمَّمَ هذا الموقف دون مراعاة معطى التسلسل التاريخي ولا معطى البعد الأصواتي.

آزر التفسير الإنجيلي هذا النوع من التخمين، فقد لجأ آباء الكنيسة إلى هذا النهج وأسرفوا في ذلك، ذلك أنَّ "homo" (: الإنسان) تتّصل ب"humus" (: الأرض)، وهو اقترانٌ يتمّ بشكل حدسي، ويستند إلى تصوّر يخصّ مكانة الإنسان في نظام الخلق.

إضافة إلى ما سبق، يستند "الاشتقاق" في نفس الإطار إلى منهج التعليق والشرح:

"Et homo quasi habensomnia manu omnipotentis"[4]

بمعنى: "سُمِّي الإنسانُ إنسانًا لأنه يتلقى كل شيء من يد الخالق".

يتّضح أن الإجراء يسمح بتعزيز فكرة تبعية الإنسان وخضوعه. وبذلك يُصبح التأثيل تخيُّليًا. لطالما سَخِرَ "رابْلي" (Rabelais) من التأثيلات الحسية التي لا تخلو من طرافة[5]. من ذلك أنّ اسم "Gargantua" وُضع بسبب صيحة الإعجاب التي صدرت عن أبيه بعد أنْ عايَنَ موهبة ابنه وهو لا زال في الفطام بتحضير وصفات الطعام البارعة، حين صاح قائلا:

"Que grand tu as (le gosier !)".[6]

استمرّت الصيغ الضمنية من التأثيلات في الاطراد بأجناس الخطاب الهجائي، بينما بَقِيَ تأثيل أسماء الأماكن والمواقع - المنطلق من نادرة أو طريفة [7] بربط الكلمة باسم مكان أو اسم شخص- راسخًا ومُتأصِّلاً.

---

1 - Les tropes
2 - Antiphrase
3 - Isodore, Origines, 14.8.30.
4 - Jean De Gênes, Catholicon, éd 1740- Strasbourg, fol 17 d.
5 - étymologies empiriques et anecdotiques
6 -Gargantua, Chap VII.
7- كما هو الحال فيمن ربَطَ اسم مدينة "فاس" ب"فأس الذهب" المفترض وجوده بباطن الأرض لحظة تأسيس المدينة سنة 172 للهجرة على يد ادريس الثاني.

لطالما بحثَ علماء التأثيل عن تفسير لكلمة "Pognon" بإرجاعها إلى اسم الصَّيْرفي "Pognon" الذي عاش عهد "لويس -فيليب" وكان مسؤولا عن نقد العُمّال. والواقع أن الكلمة عبارة عن مُرادف عامّي[1] لكلمة "argent" (:مال)، تُضاف إلى سلسلة المرادفات التي تربط المال بالكعكة، ذلك أن كلمة "Pognon" اسم فطيرة حلوى ليونية (بمدينة "ليون" الفرنسية).

ليس التأثيل الخاطئ في نهاية المطاف سوى تجنيسًا يدّعي تبنّي النزعة العلمية، بينما التأثيل الصحيح أقلّ بلاغة، ويستند مع ذلك إلى مبادئ مُتَخَيَّلة، فهناك معنى أوليّ يُدعى أيضا المعنى الأصلي. جليٌّ أيضا أن المعنى الأوليّ يُصبح ضمنيا في "اللاوعي اللغوي" [2]. وإذا كان الأمر على هذا النحو فسيُدرك الفرنسي أن كلمة "échec" ذات الأصل العربي [: "الشيخ مات" في لعبة الشطرنج ومن المرجّح أن أصلها فارسي قبل أن تنتقل إلى العربية]، وأنْ لا علاقة لها بالفعل: "échouer".[3]

يُمكن للتأثيل ـ كما هو حال مجاز الكلمات- أن يرد شعريا، لكن دون أنْ يأخذ قيمة استدلالية، فهو في هذه الحالة مجرّد وسيلة بلاغية ضمن جملة وسائل أخرى تستند إلى "الحدْس التأثيلي".[4]

لا صلة للتأثيل الشعري بالتأثيل العلمي، فالأول إنما يصدر بالحدس وعن اللاوعي ولا يتطلب شحذًا للذهن، فما طبيعة هذا الحدس التأثيلي؟ إنه حدْسٌ يرمي إلى الربط بين الكلمات أو بين العناصر المكوّنة لها بمراعاة مظهرها الخارجي لا في صلتها بالفكرة التي تمثل الكلمات رموزًا لها.

° التأثيل بداية عصر النهضة (من عهد "جيل ميناج" (Gilles Ménage) (-1692 1613) إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي)

أخذت الإشكالات التأثيلية مع "ميناج" بملاحظاته عن اللسان الفرنسي (Observations sur la langue française) (1650) منعطفا جديدًا، فهو مَنْ حَزَرَ ضرورة بناء قاموس تأثيلي، تستند أبحاثه التأثيلية إلى الدلالة فقط، مع أنّ الكلمة تتكوّن من اسم ومن دلالة، وذلك ناتجٌ عن اعتقاده بثباتها مقارنة بالبنية الصوتية، والواقع أنَّ التطوّر يلحق كلاًّ من الاسم والدلالة والمفهوم والشيء، ولم يتنبّه إلى أنّ كل كلمة تتكوّن من اسم ودلالة تربط الاسم بالمفهوم. يقدّم "شارل بروكر" لتوضيح هذا الأمر مثالا ب"Laquay "[5] ويورد الاستدلال الذي قدّمه "ميناج" في هذا الإطار،[6] إذ تحوّلت كلمة "Verna" الدالة في اللاتينية على "الخادم المولود بمنزل السيّد" إلى: "Vernacus" التي لا شاهد عنها، غير أنه يُفترض أنّ صيغة التصغير "Vernaculus" تناسلت عنها. لقد أفضى اشتقاق "Vernacus" من "Verna" عبر القياس في تصوّر "ميناج" إلى اشتقاق "Vernulacus" وهي الصيغة المصغّرة ل"Verna "

1 - argotisme

2 - L'inconscience linguistique

3 - P, Guiraud, Les locutions françaises, Que Sais-Je ?; N° 903- p :41.

4 Charles Bally, Traité de stylistique française, Paris, Klincksieck 1951, 3 éd, Tome 1. P : 32.

5 - Brucker Charles (1973), نفس المرجع

6- يُراجَع:

K, Baldinger, L'étymologie hier et aujourd'hui, in : Cahiers de l'Association internationale des études françaises, T :11 (1950- p :236).

المستعملة، وذلك انطلاقا من "Vernula"، كما تولّدت "Vernulans" من صيغة التأنيث "Vernulaca". ومن تمَّ يتمّ الانتقال مباشرة إلى "Lacaius" بحذف المقطعين الأولين !

نحصل انطلاقا من "Lacaius " على "Laquay"، لأن دلالة هذا الأخير أشدّ قُربا من الكلمة اللاتينية "Verna"، كلاهما يُفترض اشتقاقه من الآخر مع أنه من الناحية البنيوية لا وجود لرابط مشترك بين الكلمتين. ما يهمّ هو الدلالة، التي تحجب الأصواتية الخاضعة لجبروتها. يلجأ الباحث بغرض إيجاد توافقات بنيوية إلى حذف المقاطع أو إلى إضافة مقاطع أخرى. مجمل القول: أنَّ انطلاق "ميناج" من المعنى لتبرير تطوّر البنية بارزٌ وجليٌّ.

بحلول الاتجاه الرومانسي[1] تمّ التخلي كلية عن هذا التصوّر للتأثيل بعد إرساء مبادئ دقيقة للأصواتية التاريخية والمقارنة.

ساد في القرن التاسع عشر اتجاه معاكس بإيلاء العناية القُصوى للأصواتية. إنّ أفضلَ نموذج لتوضيح ذلك يتجلى في كتاب: "القاموس التأثيلي للألسنة الرومانية" "REW" (Romanisches Etymologiches wörterbuch)، وهو قاموس تأثيلي صنَّفه "مايير لوبك" (Meyer-Lűbke) (1911-1920)، لكن لا مناصّ من الإقرار بأنّ أبحاث "دييز" (Diez) هي التي مهَّدت الميدان، لا سيما بتصنيفه قاموس:

" Etymologiches wörterbuch der romanischen Sprachen 1853 "

، فما معالم نهج "مايير لوبك" (Meyer-Lűbke) في التأثيل؟ إذا انطلقنا من مثال لفظة: "Ostium"، يقوم المؤثل بجرد مختلف النتائج عن الألسنة الرومانية، مع إضافة المشتقات، وإلحاق ملحوظة عن بعض اللهجات الرومانية التي توظف كلمة "Ostium"، ويقف عند هذا الحدّ، ولا وجود لإشكال في نظره، ويمكن استحضار التقابل "huis "/"porte" في الفرنسية. تبقى الدلالة الغائب الأكبر بجهود الأقدمين.

فما موقع الدلالة في الأبحاث التأثيلية؟

عادت الدلالة للظهور نهاية القرن التاسع عشر مع كل من "دارمستتر" (Darmsteter) و"بريال" (Bréal) الذيْن وضعا أسسها كعلم مستقل. فشرعَ الباحثون مع مرور الوقت يهتمّون بالمضمون من جهة، وبالأشياء من جهة ثانية، واحتلت كلّ من اللهجاتية (Dialectologie) واللسانيات الجغرافية أهمية خاصة، وهما مصدر هذا التطوّر الملحوظ.

° <u>التأثيل في القرن العشرين:</u>

إذا كانت الملاحظات الدلالية في "القاموس التأثيلي للألسنة الرومانية"(REW) ضئيلة للغاية، ولا تشكّل مصفوفة مدخل القاموس، فإنّ المسلك الدلالي المرتبط بالتطوّر الأصواتي مَثَّلَ في القرن العشرين المحور الأساس في الدراسات التأثيلية، بعبارة أخرى، تصبح الملاحظة الضمنية ذات الطابع الدلالي الماثلة بقاموس "Meyer- Lubke" نقطة الانطلاق. ينطبق نفس القول على منهج "فون وارتبورغ" (Von Wartburg).[2]

يَتَمَثَّل أفضل مَثل للمؤثلين في حالة "coxa" (وَرِك/ وَرْك) [hanche]، إذ تغيّرَ معناه ليعيّن في نهاية المطاف: "فَخِد" (la cuisse)، ذلك أن المصطلح الذي كان يحيل على "فَخِد" (la cuisse): "femur" في اللاتينية القديمة تحوّل إلى: "femus /femoris" في اللاتينية

[1] - Le romantisme

[2]- يُراجع كتاب:

Problèmes et méthodes de la linguistique. PUF, 1963, 2° éd, p : 127.

الحديثة تحت تأثير ثنائية: "stercoris"/ "stercus"، فغدا بذلك المجانس اللفظي ل: "femus" [fumier] (: وَضيع)، وكان يُكتب في اللاتينية القديمة على هيئة: "fimus".

تمَّ اللجوء إلى تسمية عضو الجسم الأقرب بغرض تفادي "femus" (بمعنى "femur") التي تعذّر تداولها، يتعلق الأمر بتسمية "coxa" (hanche) (: الوَرْك)، كما تمَّ اللجوء بدلَ "hanche" (: وَرْك) إلى المصطلح الجرماني "hanka*". لاستبعاد أيّ سوء فهم يمكن أنْ يترتَّبَ عن الامتداد الدلالي في "coxa"، بغاية إخراج اللسان من الطريق المسدود.

استُخلِصت مبادئ جديدة من أمثلة على هذا النمط أصبحتْ عُرفية:

1- إذ شرع الدارسون يميزون ابتداء من هذه الحقبة بين "التأثيل الأصواتي" (Etymologie phonétique) و"التأثيل التقليدي" (Etymologie traditionnelle) و"التأثيل الباحث عن الأصل" (Etymologie-Origine) و"التأثيل بالمقصد الدلالي" (Etymologie au sens sémantique) و"التأثيل الحديث" (Etymologie moderne) والتأثيل الباحث عن تأريخ الكلمة (Etymologie-Histoire du mot).

مهّدتْ أعمال "جيليرون" (Gilliéron) السيْر في هذا التوجّه الجديد، فأصبحتْ ولادة الكلمة مجرّد نقطة انطلاق البحث التأثيلي.

أسهم المنهج الجديد في إثراء المقاربة التراثية، إذ يلزم أولا - بغرض استكشاف أصل الكلمة- البحث في تاريخ حياتها، بمعنى: تاريخ أسرتها. يتبيّن إذن أنّ المنهج الجديد شكّل منعطفا حاسما: إذ لا يتأتّى الوصول إلى الأصول الأولى للكلمة سوى عبر رسم تاريخها. بذلك لا يستطيع المُؤثِّل الباحث عن الأصل الاستغناء عن تاريخ الكلمة وتاريخ أسرتها.

2- يتمثّل المبدأ الثاني المستخلص من التصوّر الجديد للتأثيل في التوجّه البنيوي للبحث التأثيلي. هنا أيضا أسهمتْ خبرة علماء اللهجيات (Dialectologues) لا سيما "جيليرون" (Gillièron) في إثراء علم التأثيل.

من الواضح إذا استعدنا مثال "coxa" أن تغيّره الدلالي لا يُفَسّر سوى عبر المحيط الدائر بهذه اللفظة، أي تاريخ "coxa" وتاريخ ألفاظ أخرى مثل "femur" و "fimus" و"hanka*" (انظر ما سلف).

يستلزم تاريخ الكلمة تطوّر النسق، بل بالأحرى تطوّر أنساق متعدّدة على مستويات مختلفة جدّا. والواقع أن كلّ كلمة تشكّل جوءا من أنساق متعددة: نسق البنية ونسق الدلالة والنسق التصوّري.

بينما يربط قاموس "تريفو" المثل ب "mâtin"[1]. بالتالي يُفهَم منه: "نتوفر على الأمن حينما يكون لدينا جارٌ جيّد".[2]

° <u>مبادئ التأثيل وأداوت عمل المؤثّل:</u>

تختلف أعمال المؤثلين من حيث النتائج والمناهج، لكن أيضا من حيث تصوّر كل مؤثل عن علم التأثيل.

[1] - Dictionnaire de Trévoux (1752-1771)

[2]- يُراجع في هذا الموضوع:

- K. Baldinger, L'étymologie hier et aujourd'hui, art, cit ; p : 252.

- **مواصفات التأثيل بالعصر الحديث:**

ما ينقص تأثيل "ميناج" يمكن استكماله بعد تمكّن "فريديريك دييز" (Friederich Diez) (في كتابه: "نحو الألسنة الرومانية' [Grammaire des langues romanes 1836-1838]) من وضع مبادئ التطوّر الأصواتي. شَرَعَ الغربيون يتحدثون بعد مجهود 'دييز' عن لسانيات رومانية، وبالتالي عن وجود تأثيل علمي. الراجح أنّ ما يميز دراسته عن أعمال سابقيه هو الحرص على اكتساب المعرفة الصوتية و/ أو الصرفية.

أ- **المظهر الصوتي:**

إلى يومنا هذا، لا يمكن للتأثيل أن يكون سليما سوى بتوافق التطور الصوتي للكلمة مع التوجّهات العامة للسان الذي تنتمي إليه هاته الكلمة، أو سوى بإمكانية تفسير اشتقاقاتها.

يمكن للتأثيل أن يثير استغراب المتكلم (يقدّم 'شارل بروكر' مثال ارتباط الفعل "fesser" (: ضربَ الشخص عدّة مرّات على إسته) بأسرة "fesse" "fissa" الدالة على "غصن" التي لم تعُد متداولة باللسان الفرنسي [1].

يُطلق على هذا النوع من الاشتقاق: "التأثيل الشعبي"، وينتُجُ عن ارتباط كلمة بكلمات أخرى، كما يتولّد بفعل محيط الكلمة المُؤثِّلة.

يُعتبر التأثيل الشعبي جزءا مما يمكن تسميته التأثيل الداخلي في مقابل التأثيل الخارجي، وهما معًا من المحطات الرئيسة في علم التأثيل.

يدرُسُ التأثيل الداخلي حياة الكلمات وموقعها داخل نسق اللسان بتتبّع اشتقاقاتها وتحوّلاتها الدلالية، وتأثرها بكلمات أخرى. تتمازج عمليات نوعيْ التأثيل (الداخلي والخارجي) لتقدّم صورة واقعية عن العمليات اللسانية (القائمة بلسان ما أو بين عدّة ألسنة من مجموعة واحدة أو بين مجموعات وقعَ بينها تقارُض).

ب- **المظهر الاجتماعي:**

لا تقلّ أهمية المحيط الاجتماعي عن المحيط المعجمي والتطور الأصواتي، إذ تكتسب الكلمة سمة خاصة بفضل الوسط الاجتماعي الذي تبرز به، مثال ذلك الفرق بين دلالة "Enthousiasme" في الفرنسية و "Enthusiasmus" في الألمانية، فهما مأخوذتان عن اليونانية "Enthousiasmos"، دخلتا إلى اللسانين الفرنسي والألماني منذ القرن السادس عشر، أكسبها الإصلاحيون بألمانيا معنى"تهويمات المتديّنين" الناتج عن تمادي التفاني في العبادة، واكتسبت في الفرنسية معنى "الإلهام الشعري" مع الشاعر 'رونسار' (Ronsard)[2]. يمكن أن نقدم مثالا عن تأثير المحيط الاجتماعي في الكلمة العربية بمفردة: "تقاطع" الدالة بعربيات دول المغرب العربي على التداخل، بينما تدل بعربيات دول المشرق العربي على التضاد، ممّا يعني أن ذات الكلمة تُستعمَلُ في فضاءين مختلفين.

نطالع في سياق البرهنة على أثر المحيط الاجتماعي : الدلالة الإيحائية للفظة "عربي" في الجزيرة العربية (بلاد نجد والحجاز) وبأرض المهجر، إذ تُستعمل في الوسط الأول في سياق الفخر والاعتزاز بأصالة الجنس؛ بينما تُستعمل بأرض المهجر (بفرنسا أو بدول غربية أخرى) مُحمَّلة ببُعد قدحيّ استهجاني يعكس مشاعر العنصرية ضد الأجانب (من أصل شرقيّ).

1- يراجع: مكنز اللسان الفرنسي الذي يؤرخ لدخول الكلمة إلى اللسان الفرنسي في 1489، ويقوم بتأثيلها:
https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/fesser#tlfi
بروكر(1988) : ص ص: 18-19).

2- بروكر(1988) ، ن م، ص: 19.

يتأكّد إذن استحالة القيام ببحث تأثيلي بمعزل عن الثقافة.

ت- المعارف الموسوعية:

تُعتبر المعارف المرتبطة بتواريخ القوانين والأديان والتجارة والخاصة بشعب من الشعوب شديدة الأهمّية في دراسة الرصيد المعجمي، وبالتالي في تأثيل وحداته.

تبرز هاته الأهمية باستحضار كلمة "faĩnce " (W. von Wartburg)، إذ تعود إلى اسم المدينة الإيطالية "Faenza" التي اشتهرت منذ العصر الوسيط بصناعة الخزف[1].

نستحضر أمثلة أخرى أكثر تعبيرية عن أهمية المعارف الموسوعية، بذكر ألفاظ: "مخزن"، "بارود"، "الكحول".[2]

إن المعارف عن الحياة، وعن الأوساط الاجتماعية وعن الطبيعة تشكّل شرطا أساسيا لإنجاح الأبحاث التأثيلية. لا سيما حينما تتباعد هيئات المفردات المؤثّلة مع أصولها المفترضة.

نقتطف من قاموس "العربيات المغتربات" الحالات التالية:

"Haras " ـــــــــــ "فَرَس"

"fabrègue" ـــــــــــ "حَبَق"

"alfange" ـــــــــــ "الخِنْجَر"

"alfatida" ـــــــــــ"الحديدة"

"aufin" ـــــــــــ"الفيل"

"anforge" ـــــــــــ"الخُرْج"

"chataf" ـــــــــــ "خُطاف" (نوع من الطيور)[3]

لا شكّ أنّ اللسانيات الجغرافية تضطلع بدور رئيسي في توضيح مراحل تطوّر الألفاظ، وتفسير كيفيات تنقل المفردات بين لسانها الأصلي ومحطاتها التي رستْ بها[4].

° إرهاصات "التأثيل" في التراث اللغوي العربي:

تتبّعنا –فيما سلف- مسارات "التأثيل" بدْءا بمحاورات 'أفلاطون' إلى عصرنا الحديث، لكن ماذا عن إسهام اللغويين العرب القدامى في تأثيل مفردات العربية؟

يُلاحظ بدْءا أنه على الرغم من إشارات الأسلاف إلى أصول بعض المفردات في تصانيفهم وقواميسهم؛ غير أن "التأثيل" [بالشكل المتعارف عليه حديثا] لمْ يَلْقَ عناية كبيرة من لدنهم، ومن المرجّح أن تكون أسباب ذلك راجعة إلى:

- قناعة لدى اللغويين الأقدمين بثراء العربية وتفوّقها على أقرانها من الساميات والحاميات والآريات بالاستناد إلى قوله تعالى في سورة يوسف (آية 2): (إنّا أنزلناه قرآنا عربيا)، مما جعلهم

1- تفصيل ذلك في : شارل بروكر(1988) ، ن م، ص: 20.

2- يراجع: الودغيري(2018)، العربيات المغتربات، قاموس تأثيلي وتاريخي للألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرّب، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، الأردن. ج2/113- ج1/256- ج1/76-80.

عبد الصبور شاهين(1986): العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، مصر، الباب الأول.

3- الودغيري عبد العلي (2018)، العربيات المغتربات، ج1، المقدمة، ص ص: 28-29.

4 -Marie Guy Boutier (2011), Dialectologie, géographie linguistique et étymologie-histoire des mots. Réflexions à partir de l'expérience wallonne

على الرابط:

https://orbi.uliege.be/bitstream/2268/103989/1/Boutier-2011-Lexicon.pdf

تاريخ التصفح: 22-3-2021,

لا يحتفلون كثيرا بصلات اللسان العربي مع بقية الألسن، ومعلوم أن سياق الآية السابقة مغاير لتأويلات بعض المفسّرين.

ـ قلّة الدخيل: فغالبية الكلمات الوافدة إلى اللسان العربي تكتسب الجنسية العربية عبر إخضاعها للإجراء التَّعْريبي، وقد سبق ل"ابن جني" أن أشار في "خصائص اللغة" إلى أنّ : كلّ ما قيس على اللفظ العربي يغدو عربيا.[1] فمن مجموع مائة وعشرين ألف كلمة عربية مرصودة ب"تاج العروس" ل'الزبيدي" لا يحتل ضمنها الأجنبي "الدخيل" سوى نسبة تقل عن ثلاثة في المائة بمقدار 2515 مفردة دخيلة (بحسب نتائج إحصاء الباحث اللبناني 'رفائيل نخلة)[2].

غير أنّ لا أحد يُنكر عناية الأسلاف بتأثيل الألفاظ الأجنبية وتصنيف عدّة تصانيف في المعربات، مع الإشارة إلى عدم تمكّنهم من ردّها في كل الأحوال إلى أثولها الأجنبية، علاوة على عدم كتابة هاته الأثول بأبجديات الألسنة الأجنبية (سواء كانت فارسية، أم يونانية، أم هندية).

نورد فيما يأتي أهم التصانيف التي اعتنتْ قديما وحديثا ب"<u>التأثيل الجزئي</u>" للألفاظ المعربة والدخيلة:

فأبرز ما ألفه الأسلاف:

- **المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي (ت540هـ).**
- **في التعريب والمعرَّب المعروف بحاشية ابن بري (ت582هـ) على كتاب المعرَّب للجواليقي**
- **مُعيد النِّعم ومُبيد النقم، تاج الدين السُّبكي (ت771هـ)**
- **المُهذَّب فيما وَقعَ في القرآن من اللغات العجمية، السيوطي (911هـ)**
- **في التعريب، أحمد بن سليمان كمال باشا زاده (ت 940هـ)**
- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل، شهاب الدِّين الخفاجي (ت1069هـ)**
- **قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدَّخيل، محمد الأمين المحبّي (ت1111هـ).**

أما أبرز ما صنفه المحدثون :

- **الطِّراز المذهَّب في الدَّخيل والمعرَّب، محمد نهاني (ت1885م)**
- **المعرَّب في القرآن الكريم، أحمد القوصي (ت في القرن 13هـ).**
- **الدَّليل إلى مُرادف العامّي والدَّخيل، أدى شير الكلداني (ت1915م).**
- **التقريب لأصول التعريب، طاهر بن صالح الدمشقي (ت1337هـ)**
- **التهذيب في أُصول التعريب، أحمد عيسى، طُبعَ سنة (1342هـ)**
- **الاشتقاق والتعريب، مصطفى المغربي، طُبع سنة (1366هـ).**
- **غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة اليسوعي، طبع سنة (1960م).**
- **تفسير الألفاظ الدَّخيلة في اللُّغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طوبيا العنيسي، طُبع سنة (1964هـ).**

1- ابن جني، الخصائص، تحقيق علي محمد النجار، طبعة دار الهدى، بيروت، مج 1/ 114.

2- حدّد صاحب "المعجم الاشتقاقي المؤَصّل لألفاظ القرآن الكريم" نسبة الدخيل قديما في قدر لا يتجاوز: 2.5 %، بينما أصبحت هاته النسبة حديثا تناهز 5 %، وقد أورد هذا التقدير في سياق التأكيد على صفاء اللسان العربي بنسبة 95 % بينما ألسنة غربية كالانجليزية أو الفرنسية لا يتعدى قدر صفائها 50 %.

محمد حسن حسن جبل (2010)، المعجم الاشتقاقي المُؤَصّل لألفاظ القرآن الكريم (مُؤَصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، هامش 1 من ص: 10.

والراجح عندي إنه تقدير يصحّ في اللغة العامة أما اللغات الخاصة (لغات العلوم والفنون والتقنيات)، فهي تضمّ قدرا أكبر، بالنظر إلى غزو المصطلحات الدخيلة بفعل تطور المعارف حديثا وبطء عمليات التعريب.

- المفصَّل في الألفاظ الفارسية المعرَّبة، د.صلاح الدين المنجد، طُبع سنة (1978م).
- من تراثنا اللغوي القديم ما يُسمى في العربية بالدَّخيل، طه باقر، طُبع سنة (1980م).
- موسوعة حلب المقارنة، خير الدين الأسدي، طُبع (1981م).
- أثر الدَّخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د.مسعود بوبو،طُبع (1982م)
- حركة التعريب في العراق، د. أحمد مطلوب، طُبع (1983م).
- مُعجم المعرَّبات الفارسية في اللغة العربية، د. محمد التونجي، طُبع (1988م)
- التعريب في التُراث اللُّغوي مقاييسه وعلاماتُه، د. عبد العال سالم مكرم، طُبع (1989م)
- المعرَّب في اللغة، فارس السيد حسن السلطاني، رسالة ماجستير (1996م).
- هل في القرآن أعجمي؟ د. علي خشيم، طُبع سنة (1997م).
- المعرَّب في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية دلالية، د. محمد علي بلاسي، طبع سنة(2001م).
- المعربَّ والدَّخيل في المعاجم العربية، جُهينة نصر علي، طُبع سنة (2001م)
- المعجم الذهبي في الدَّخيل على العربي، د. محمد التونجي، طُبع سنة (2004م)
- المعجم المفصَّل في المعرَّب والدَّخيل، د.سعدي ضناوي، طبع سنة (2004م).
- المعرَّب والدَّخيل في اللغة العربية وآدابها، د. محمد التونجي، طُبع سنة (2005م).
- المعرَّب الصوتي في القرآن الكريم، دراسة ومعجم، رسالة ماجستير، إدريس سليمان مصطفى،2006م [1].

يتبيّن من العناوين أعلاه أن ما أسميناه ب"التأثيل الجُزئي" تركّز بالأساس على تتبّع أصول المفردات الدخيلة والمعربة ورصد أحوالها، ولم يتعمّم بعد الاعتناء بتأثيل مجموع رصيد اللسان العربي من المفردات والتراكيب والأساليب. ما عدا محاولات محتشمة ينقصها البعد الأكاديمي، كما هو حال مصممي الموقع الإلكتروني "تأثيلات"، منبرٌ يستهدفون عبره:

" تطوير منصّة تشاركية مختصة بدراسة وتباحث أصول الكلمات العربية في قديم لهجاتها وحديثها أو ذات التأثير العربي على الساحة العالمية" [2]، يُصرّح أصحاب المشروع بأنهم يرحّبون بكل عشّاق المجال لإثراء المحتوى العربي وإنشاء قاعدة بيانات تأصيلية للغة العربية ولهجاتها. غير أنَّ متصفّح مضامين الموقع، سيُطالع أن مواده لا زالت قليلة لا تبلّ الظمأ.

- <u>تداخل مباحث "الاشتقاق" بمباحث "التأثيل" في التراث العربي الإسلامي:</u>

تتجلى خصوصية التراث الثقافي العربي الإسلامي وضمنه التراث اللغوي بوجود تصور عن خاص عن "الاشتقاق" حينما فرّعه نظّار الفكر اللغوي (لا سيما: المتأخرون منهم) إلى فرعين:

- فرع عِلمي يعنى بتوليد المفردات وتناسل بعضها عن بعض.
- فرع عَمَلي يعنى بتحديد أصل المفردة وتعيين تفرّعاتها .

لنتابع تعريف "المولى التهانوي" (المتوفى ما بعد سنة 1158 هـ/ 1745م) يقول: "الاشتقاق عند أهل العربية يُحدُّ تارةً باعتبار العلم، كما قال الميداني: هو أن تجد بين اللفظين تناسُبا في أصل المعنى والتركيب، فتردّ أحدهما إلى الآخر؛ فالمردود مشتقّ والمردود إليه مشتقّ منه. وتارةً باعتبار

[1]- للاستزادة يراجع ما ورد في هذا الباب بمدونة "تأثيلات" على الرابط:
https://tathil.blogspot.com/p/ref.html
تاريخ التصفح: 23-3-2021.

[2]- نفس المرجع السابق.

العمل كما يُقال: هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يُناسب معناه؛ فالمأخوذ مشتقّ والمأخوذ منه مشتقٌّ منه"، ويحيل على السيد الشريف في حاشية العضدي في المبادئ اللغوية.[1]

في نفس الاتجاه يسير تعريف محمد صديق حسن القنّوجي المتوفى سنة (1307 هـ/1890 م)، ويضيف إليه تعريفات أخرى، من قبيل: "وقيل: ردّ لفظ إلى آخر لموافقته إياه في حروفه الأصلية ومناسبته له في المعنى. وقيل: ما وافق أصلاً بحروفه الأصول ومعنى بتغيير ما، وقد نوقِش كل واحد من هذه الحدود بمناقشات مدفوعة بدفوعات"[2].

ويدعو من منطلق تعدد أنواع الاشتقاق إلى تخصيص حدّ لكل نوع على غرار صنيع ' الشوكاني' في " نزهة الأحداق".

يتبيّن من تسمية تصنيف "القنوجي" أن الاشتقاق غدا علما مستقلا بذاته، واندفع توهّم اتحاده بعلم الصرف وعلم اللغة (: علم المعجم).

فمن مبادئه: قواعد مخارج الحروف

ومن مسائله: قواعد معرفة الأصالة والفرعية بين المفردات

ومن دلائله: قواعد مستنبطة من علم المخارج وتتبّع مفردات ألفاظ العرب واستعمالاتها

ومن أغراضه: تحصيل ملكة معرفة انتساب المفردات على الوجه الصحيح

كما أن من غاياته: الاحتراز عن الخلل في الانتساب.[3]

من المرجّح أنها أهداف يشترك فيها الاشتقاق (في بعده التأريخي) مع التأثيل بمعناه الحديث، ولم يعد الفرق منحصرا سوى في استعانة التأثيل الحديث بمقارنة المؤثَّل بما يشابهه في الألسنة المجاورة.

بذلك يتأكد أنّ محاولات تأثيل اللفظ كانت مندرجة ضمن مباحث الاشتقاق بمفهومه العام، وقد اصطلح عليها المتأخرون اسم "الاشتقاق العملي".

هناك من المحدثين من حام حول مدارات التأثيل باختيار اصطلاح "الاشتقاق التأصيلي"، فما المراد من هذه التسمية وما صلتها بمباحث التأثيل المحضة؟

° <u>المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل لألفاظ القرآن الكريم[4] بين التأصيل والتأثيل:</u>

- <u>مستويات التأصيل في منهجية التصنيف:</u>

استند المصنف في تصنيف معجمه إلى الخطوات التالية:

أ- جرد مصفوفات الكلمات والعبارات المستعملة في عصر الاحتجاج بالنصوص الشعرية والنثرية المثبتة في المعاجم القديمة، لا سيما الاستعمالات الحسية المادية الموثقة بمعجمي "تاج العروس"

1- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفق العجم، دار ناشرون لبنان، الطبعة الأولى 1996، ج1/206-207.

[2]- محمد صديق حسن خان القنوجي (2012)، العلم الخفّاق من علم الاشتقاق، ضبط وتعليق أحمد عبد الفتاح تمام، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ص ص:11-12.

[3]- نفس المرجع، ص: 13.

[4]- محمد حسن حسن جبل (2010)، المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل لألفاظ القرآن الكريم (مُؤَصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة.

و"لسان العرب"، والغاية من هذه الخطوة في نظر المؤلِّف: "تأصيل أساس استنباط المعنى المحوري".[1]

ب- استخراج المعنى المحوري الشامل لمجمل معاني مشتقات المادة المعجمية، إنه اجتهاد " يُلحظ [أحيانا] بأدنى تأمُّل"[2]، غير أنه أحيانا أخر يَستدعي إعمال فكر "يَحتاج إلى فضل تأمّل وإلى تأويل ينبغي أن يُحذَرَ فيه من التكلّف".[3]

من المُرجّح أن أساس التصنيف يقوم على هاته الخطوة، ذلك أنّ "إدراك العلاقات بين معاني كلمات التركيب[4] هذا، هو قوام الجانب الاشتقاقي في هذا المعجم"[5]، وهي خطوة تجد أصولها الأولى في جهود الخليل ب"كتاب العين" وفي تأملات ابن جني بتقاليب المادة الواحدة ب"الخصائص".[6]

ت- إيراد معاني كلّ مادة من مواد المفردات القرآنية مرفقة بسياقاتها القرآنية أو اللغوية.

ج- إيضاح الصلات الدلالية الموجودة بالمواد الثلاثية والرباعية المشتملة على صامتين متماثلين (كما هو الحال في: بدد، بدو، بيد، بدأ، أبد، بدر، بدع، بدل، بدن المشتركة كلها في الثنائي "بَدْ").

ح- ذكر معنى كل صامت من الصوامت المشتركة في تكوين مصفوفات المادة المعجمية.

ختم الباحث عرض منهجيته بذكر المعاني اللغوية لصوامت الألفباء في اللغة العربية، موضحا أثر ترتيب صوامت المادة في تحديد المعنى[7]، بما يذكّرنا بما عالجه الأقدمون تحت باب القيمة الصوتية للحرف.[8]

خلاصة القول: إن مجهود الباحث "محمد حسن حسن جبل" لا يخلو من فائدة، وقد استثمر إمكانات الإجراء الاشتقاقي الصوري والدلالي في تحديد المعاني المحورية لمواد مفردات القرآن

---

[1]- نفس المرجع السابق، ص: 15.

[2]- محمد حسن جبل جبل (2010)، المرجع السابق، ص: 16.

[3]- ذات المرجع.

[4]- يستعمل المؤلف اصطلاح "التركيب" بدلا من اصطلاحات: المادة، الجذر، الأصل. والراجح أنه استمدّه من ' الميداني ' في تعريفه مفهوم ' الاشتقاق' كما سلف الذكر عن 'التهانوي' و'صديق حسن خان القنوجي'.

[5]- نفس المرجع السابق.

[6]- لا يشير المؤلف إلى مجهودات هذين العالمين في عرض منهجية التصنيف، إنما اكتفى بعرض اجتهادات "أحمد بن فارس" صاحب "مقاييس اللغة" (انظر ص: 21 من المعجم الاشتقاقي على وجه التحديد)، كما تطرق إلى إشارات "الزمخشري" في "الكشاف" و"الآلوسي" في ..... ""، واستعرض آراء بعض الباحثين المحدثين في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، منتقدا معالجاتهم بذكر أمور تقدح في علميتها. (نفس المرجع، ص: 22).

[7]- رَتَّبَ معاني الصوامت على النحو الآتي:
ف"الهمزة" تؤكّد معنى ما تصحبه في التركيب، و"الباء" تجمّعٌ رخْوٌ مع تلاصُقٍ ما، و"التاء" ضغطٌ بدقة وحدّة يتأتى منه معنى الامتساك الضعيف ومعنى القطع، "الثاء" كثافةٌ وغلظٌ مع تفشٍّ، "الجيم" تجمّعٌ هشٌّ مع حدّة ما، "الحاء" احتكاكٌ بعرض وجفافٌ، "الخاء" تخلخُلٌ مع جفاف، "الدال" احتباسٌ بضغطٍ وامتداد، "الذال" نفاذ ثخينٌ ذي رخاوة ما وغلظ، "الراء" استرسالٌ مع تماسُكٍ ما، "الزاي" اكتنازٌ وازدحام، "السين" امتدادٌ بدقّة وحدّة، "الشين" تفشٍّ أو انتشار مع دقة، "الصاد" نفاذٌ بغلظٍ وقوة وخلوص، "الضاد" ضغطٌ بكثافة وغلظ، "الطاء" ضغطٌ باتساعٍ واستغلاظ، "الظاء" نفاذٌ بغلظٍ أو حدّة مع كثافة، "العين" التحامٌ على رقّة مع حدّة ما، "الغين" تخلخُلٌ مع شيءٍ من رخاوة، "الفاء" طردٌ وإبعاد، "القاف" تعقّدٌ واشتدادٌ في العُمق، "الكاف" ضغطٌ غئوري دقيق يؤدي إلى متساك وقطع، "اللام" تعلُّقٌ أو امتدادٌ مع استقلال وتميّز، "الميم" امتساكٌ واستواءٌ ظاهري، "النون" امتدادٌ لطيفٌ في الباطن أو منه، "الهاء" فراغٌ أو إفراغٌ، "الواو" اشتمالٌ، "الياء" اتصالٌ.
وقدّم أمثلة عن كلمات تضم كل صامت من هاته الصوامت تزكّي هاته المعاني. (نفس المرجع: ص ص: 25-42).

[8]- نذكر من هؤلاء ابن جني في "خصائص اللغة".

الكريم، غير أنّ عمله لا يندرج ضمن البحث التأثيلي المحض لسبب واحد يتمثل في عدم استثمار اللسانيات المقارنة في معالجته لمصفوفات المواد اللغوية، فمن المؤكّد أن اللسان العربي له روابط وثيقة مع ألسنة تندرج معه ضمن نفس الأسرة السامية، كان الأحرى استحضار ما يوجب الذكر من صلات العربية بغيرها، سواء ضمن نفس الأسرة أو من أسر أخرى.

بإمكاننا – مع ذلك- أن نعتبر مجهود المؤلف يعالج جزءا من التأثيل فقط، هو "التأثيل الدلالي"، بدليل إشارته في التصدير إلى أن تصنيفه عبارة عن "معجم اشتقاقي موَصَّل لمعاني ألفاظ القرآن الكريم"[1]، مستندا إلى تصوّر ' الفخر الرازي ' القائل بأنّ الاشتقاق أنسب السبُل للتعرُّف على مدلولات الألفاظ[2]، وبدليل قوله أيضا: "المعنى المحوريّ هو أهمّ مستويات التأصيل"[3].

تتوضّح الزاوية التأثيلية في الاشتقاق، حينما يُعتمد معيارا لتمييز اللفظ العربي عن نظيره العجمي، إنه معيارٌ اعتمده الأسلاف[4] الذين نبَّهوا إلى أنّ سلامة العمليات الاشتقاقية تُضمن بالاشتقاق من العربي لا من العجمي (وإنْ تخطّى التطوّر اللغوي هذا القانون)، كما تُضمن بتجانُس معنييْ المشتق والمشتق منه.

وَظَّفَ الباحث محمد حسن حسن جبل في هذا المضمار مصطلح ' أريج '[5] للإشارة إلى البيئة التي يُستعمل فيها اللفظ العربي، في سياق إحالة البيئة اللسانية على أصالة اللفظ وانتمائه إلى اللسان العربي.

لكن ماذا عن تأثيل مصطلح "التأثيل"؟

° <u>بدايات تشكّل مصطلح "تأثيل" في اللسان العربي:</u>

يقدم الباحث 'عبد الحق فاضل' تفسيرا لاهتمام الغربيين بتأثيل ألفاظ ألسنتهم مردّه إلى أنّ أكثر وحدات الرصيد المعجمي بهاته الألسنة مستمدّ من ألسنة أخرى، ممّا دعاهم إلى العناية بالكشف عن أثولها الأولى؛ بينما لم يول الأسلاف أهمية قصوى لقضايا التأثيل "لأن الكلمات الدخيلة في العربية قليلة نسبيا، لا تكاد تبلغ الثلاثة من المائة من مجموع الألفاظ العربية"[6]. غير أن

---

[1]- محمد حسن حسن جبل (2010)، نفس المرجع، ص: 9.

[2]- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، الكتاب الأول، الباب الأول، المسألة الأولى (الاستعاذة) ج73/1، طبعة دار الغد العربي، القاهرة 1412-1992، عن محمد حسن حسن جبل (2010)، نفس المرجع، ص:9.

[3]- محمد حسن حسن جبل (2010)، المرجع نفسه، المقدمة، ص: 15، وهي المقدمة التي استهلها بقوله: "الهدف هو ضبط عملية تحديد المعاني، وإخراجها من دوّامة الأقوال الكثيرة في معنى كلّ مفردة قرآنية" (ص:5)، ثم أضاف: " (...) ربط مفردات كل تركيب بمعنى عام واحد، سمّيته ' المعنى المحوري لمفردات التركيب '، وطبّقت ذلك المعنى على كلّ ما ورد من مفردات التركيب في القرآن الكريم، مبينا وجه انتمائه إلى ذلك المعنى، ليكون ذلك برهانا على سلامة تحديد المعنى" (ص: 5).

[4]- يراجع: ' السيوطي' في "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق: محمد جاد المولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي ، طبعة عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ، النوع الثالث والعشرون. و' الكفوي ' في "الكليات"، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ص: 117.

[5]- يقول في هذا الصدد: "وجْهُ ذلك (الإطباق) أنَّ المأخذ الاشتقاقي (= اللفظ الذي تُشتقُّ منه كلمات أخرى) له معنى عربي وأريج عربي (= رائحة البيئة). فإذا تناسب اللفظان في المعنى وأريج البيئة، وكان أحدهما ثابت العروبة، كان ذلك التناسُبُ دليلاً على عُروبة اللفظ الآخر ". (محمد حسن جبل، نفس المرجع السابق، ص:11).

[6]- عبد الحق فاضل (1967)، علم الترسيس، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس، ص ص: 18- 19.

النسبة المئوية التي قدمها الباحث تفتقد للدقة لأنه لم يذكر بدءا عدد مجموع وحدات اللغة العربية، ولو بالاقتصار على المستعمل منها التي دونته أمهات المعاجم والقواميس.

إنْ حظي مصطلح "التأثيل" بالقبول من لدن الدارسين بعد مضيّ ثلاثة عقود على وضعه بتوظيفه في كتابات الفيلسوف المغربي ' طه عبد الرحمن '، لا سيما كتاب "القول الفلسفي: المفهوم والتأثيل" (1998)؛ فإنّ مصطلح "الترسيس" الذي وضعه بدوره الباحث 'عبد الحق فاضل' لمْ يُكتب له النجاح في تداوله من لدن الأخلاف. فماذا يَقصد الواضع بهذا الاصطلاح؟ وما دواعي اللجوء إليه؟

إنّ دافع وضع المصطلح الجديد هو عدم كفاية مصطلح "التأثيل" في رسم جميع محطات الكلمة، فعلى الرغم من اقتراح الغربيين أثولا لألفاظهم؛ يظل الإشكال مستمرّا بعدم إيجاد الأصل الأول الذي انحدر منه أثل الكلمة.

لأنّ " هذه الأثول الأجنبية لم تنبت من عدم"[1]. ولا يمكن اعتبارها بداية اللغة، ففي ذلك من الخلط ما يشبه حال الواقف عند ساحل المحيط بوصفه نهاية العالم[2].

يبحث "الترسيس" في أثول الأثول "كيف نطق بها الناطق الأول، فظلّت تتطوّر وتنتقل على ألسنة الأجيال والشعوب"[3]، إلى أن صارت بحلتها الحالية المتداولة بين المتكلمين.

يبدو أن مهمّة "المُرَسِّس" [وهو اصطلاح اجتهدنا في وضعه وصياغته نسجا على منوال "المُؤَثِّل" (Etymologue)] ليس أمرا هيّنًا، كما أنَّ مُحَصِّلة عمله غير مُؤكّدة، يشوبها الكثير من التخمين والافتراض بالنظر إلى افتقار "المُرسّس" إلى معطيات تحسم في صحة حدوسه، لذلك لا عجب أنّ مصطلح "الترسيس" لم يُتداول بين أوساط الباحثين كما تُدووِل مصطلح "التأثيل".

وقد عمدْنا في دراسة سابقة (اليعبودي 1995)[4] إلى ترجمة مصطلح "Etymologie" بمصطلح "الاشتقاق التاريخي" في مقابل "الاشتقاق التوليدي" (Dérivation)، ولم تكن ترجمتنا بدافع النزعة التفرّدية التي ميّزت غالبية المترجمين؛ وإنما لكون مصطلح "التأثيل" المقترح من لدن 'عبد الحق فاضل' لم يبرز ساعتئذ كما سلفت الاشارة إلى ذلك، ولم يعرف نجاحه الذي يُلاحظ في أيامنا هاته، ولأنّ العلم الأول [Etymologie] يتتبّع المسارات التاريخية للكلمة، ومحطاتها الرئيسة بمختلف تقلباتها الصورية والدلالية.

ممّا يُبرهن على عدم تداول "ترسيس" بنفس درجات تداول "تأثيل" أنّ الشابكة أفرزت 91.500 نتيجة للمصطلح الثاني وما يتصل به من مشتقات؛ بينما لم تفرِز سوى 3.540 نتيجة في البحث عن المصطلح الأول وما يرتبط به، أيّ أنّ مصطلح "ترسيس" يمثل نسبة 3.86 % فقط من مجموع حالات تداول مصطلح "تأثيل".[5]

---

[1]- عبد الحق فاضل (1967)، نفس المرجع، ص: 19.

[2]- نفس المرجع.

[3]-نفس المرجع السابق.

[4]- خالد اليعبودي (1995)، محاولة فهم جديدة للاشتقاق والصرف العربيين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بكلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب.

[5]- رصدٌ أجريناه بتاريخ 20 مارس 2021، علما أن الأرقام تشمل المصطلحين وما يتفرّع عنهما، سواء بالدلالة اللسانية أو بغيرها من الدلالات.

يُعرّف الباحث 'عبد الحق فاضل' مصطلح "الترسيس" قائلا: "هو إرجاع اللفظة العربية أو الأعجمية إلى رسّها، أي بداياتها، فإنّ "الرسّ" في المعجم: ابتداء الشيء"[1]. ويقترح الباحث كلمة "Radixation" الأنجليزية مقابل اللفظة العربية "الترسيس" باعتبار أن "radix" هو "الرسّ" في الأنجليزية[2].

يتجلّى من اعتبار الباحث "التأثيل" هو البحث عن الأم المباشرة أو الجدّة المباشرة، و"الترسيس" هو البحث عن الجدّة الأولى (حوّاء): أنّ قضايا "الترسيس" شبيهة بالبحث في اللسان البشري الأول: أبُ[3] جميع الألسنة (:لسان آدم) وفي طبيعة لسان الجنّة، ما يدعونا إلى الدعوة إلى حصر الجهود في "التأثيل" فقط دون هذر الوقت في الافتراض والتخمين بمباحث "الترسيس" التي تنظر في مراحل ما قبل التاريخ لنتاجات الحضارات الإنسانية. وممّا يبرز غلبة التخمين في مباحث "الترسيس": افتراضات 'عبد الحق فاضل' الآتية:

"نظنّ أنّ في وسعنا ترسيس كلمة "river" الانجليزية هكذا: هو، هواء، هباء، هباب، أباب، آب، آل، رال (ومنها: الريل [سيلان اللعاب]، راف (ومنها الريف)، "ripa" (لاتيني): ساحل. "riviera" (إيطالي): ساحل.. " rivier" (فرنسي) قديما: ساحل، وحديثا: نهر أيضا. "rive" (فرنسي): ساحل. "river" (انكليزي): نهر " [4].

لا أدلّ على أنّ ترجيحات الباحث مجرّد تخمينات أنه استهل قوله هذا ب"نظن"، علاوة على الافتقار لمصادر تؤكّد حصول التأثير والتأثر بين مختلف هاته الألسنة..

يستمر الباحث في مسلسل تقديم الافتراضات بميله إلى مقولة إمداد العربية الكثير من الألسنة السامية والحامية والآرية بأرساس [: جمع "رسّ]، دونما استحضار أدلة مادية واضحة تؤكّد مزاعمه.[5]

إنها مزاعم حفزت باحثين آخرين على سلوك هذا المسلك بالبحث عمّا يؤكّد أصلية العربية للكثير من ألسنة العالم المعمور. من هؤلاء المدير السابق لمكتب تنسيق التعريب المرحوم 'عبد العزيز بنعبد الله' الذي نشر بأعداد مجلة اللسان العربي الكثير من اجتهاداته التي تحوم حول هذا الافتراض، الذي ترفضه اللسانيات الحديثة بوصفها علما يتَّسمُ بالموضوعية وينأى عن الأحكام الجاهزة المفتقدة إلى البرهان.[6]

---

[1]- عبد الحق فاضل (1967)، نفس المرجع السابق.

[2]- عبد الحق فاضل، نفس المرجع السابق.

[3]- نعلّل تواجد لفظي "الأم" و"الأب" أن الباحث 'عبد الحق فاضل' يتحدث عن "اللغة" بصيغة التأنيث، بينما نوثر استعمال مصطلح "لسان" بصيغة التذكير، سيرًا على منوال 'دي سوسير' الذي ميّز بين ثلاثية : "اللغة"، "اللسان"، "الكلام".

[4]- عبد الحق فاضل (1967)، نفس المرجع السابق.

[5]- يقول في هذا الصدد: "إن كان "التأثيل" علما أوروبيا إلى حدّ كبير – ومن قبل كان علما عربيا إلى حدٍّ ما- فإنّ "الترسيس" علم عربيّ محض، وسيبقى عربيا أبدا (...) كل لغوي أجنبي يروم دراسة علم الترسيس لا محيص له من تعلم العربية والغوص في معجمها إلى الأعماق، لكي يصل إلى الجذور ثم إلى البذور التي نبتت منها لغته" (نفس المرجع السابق).

[6]- يُراجع مقال 'عبد العزيز بنعبد الله' بمجلة اللسان العربي: "اللغة الأم"، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، ص ص: 1-7، (دون تاريخ)، وعبد العزيز بن عبد الله، معجم الأصول العربية في اللغات،مجلة اللسان العربي المجلد الحادي عشر، الجزء الثالث، ص ص: 228-266.

أما منْ سبق مدير مكتب تنسيق التعريب السابق في الإسراف في التخمين، فهو: الأب 'رفائيل نخلة اليسوعي' الذي ردَّ الكلمات العربية ذات الأصل السامي المشترك إلى اللسان السرياني.

بذلك يتجلّى خطل تصور "الترسيس" من عوامل تطور اللسانيات الحديثة التي أطلق عليها في عقود خلتْ تارة "علم اللغة" وتارة أخرى "فقه اللغة العالمي العام".[1]

نشير في هذا المضمار إلى أنّ تأثيل مفردات العربية لا يقتصر على مقارنة أثولها بأثول مفردات الألسنة السامية؛ وإنما تشمل المقابلة والمقارنة والبحث عن التجاورات الشكلية والدلالية الألسنة السامية وغيرها من هندوأوروبية وحامية وجرمانية (وغيرها) على مستويات متعددة صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية.

سبقَ للباحث السوري الدكتور عبد الرحمن السليمان أن أكّد بطلان البحث التأثيلي وعدم نجاعته إذا لم يستعن المؤثِّل بعلمين أساسيين لا غنى عنهما: علم اللسانيات المقارنة وعلم التأثيل بإجراءاته المعتمدة حديثا.[2]

لا زالتْ العربية إلى يومنا هذا تفتقر إلى قاموس تأثيلي ينافس القواميس التأثيلية المصنّفة بحضارات العالم المتقدّم وذلك على الرغم من انطلاق مشروعين عربيين يستهدفان بناء قاموس تاريخي للغة العربية (مشروع الدوحة ثم أعقبه مشروع الشارقة)، فالتأثيل محطة من محطات بناء القاموس التاريخي، لكن لا ترادف بين القاموسين[3].

يحار المرء في تعليل سبق الألمان في بلورة فكرة بناء قاموس تاريخي للغة العربية وشروع 'فيشر' في تنفيذها، وسبقهم كذلك في محاولة بناء قاموس تأثيلي للعربية على يد المستعرب 'اشتيفان غوث' [4]، الذي لا زال يعمل مع أعضاء فريقه لتحقيق المبتغى، غير أن تنويهنا بالمحاولتين لا ينسينا أن المستعرب 'غوث' ينطلق من متن محصور في معجم 'لين'[5]، وهو متن لا يعكس العربية بأمانة في جميع مراحل تطورها، كما أن 'فيشر' حصر مصادر معجمه فيما ينتمي إلى عصور الاحتجاج.

والواقع أن قاموس "العربيات المغتربات" ليس قاموسا تأثيليا شاملا كما يصرّح بذلك مؤلفه؛ إنما يقف عند رصيد من العربية هاجر إلى اللسان الفرنسي، لا سيما بنسيان أهل العربية تفاصيل هذه الهجرة ومحطاتها البارزة.[6]

إن البحث التأثيلي لا يكتفي بردّ اللفظة إلى أصلها الأوّل كما يفعل مصنفو الكثير من معاجم المعرّب والدخيل؛ وإنما يتخطّى ذلك إلى رسم المعابر التي سلكتها اللفظة إلى أن استقرّت بالعربية.

يلزم أن يشمل التأثيل المفردات والتراكيب والتعابير، ذلك أنّ الكثير من المركبات والتعابير استعارها اللسان العربي حديثا نتيجة احتكاكه بحضارات أخرى، وتأثره بألسنة المستعمر.[7]

- رفائيل نخلة اليسوعي (1959)، غرائب اللغة العربية، إصدار المطبعة الكاثوليكية، بيروت. يُراجَع اعتراض المؤثِّل 'عبد الرحمن السليمان' (2020)على افتراضات اليسوعي، ص ص: 54-55.

[1]- تراجع هاته التسميات وتصور 'عبد الحق فاضل' (1967) بخصوص تأثير "الترسيس" في اللسانيات بمسمياتها السالفة الذكر في مقاله: "علم الترسيس"، العدد الخامس، ص:28.

[2]- عبد الرحمن السليمان (2020)، في ضرورة توظيف علم التأثيل في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية، مجلة مصطلحيات، عدد 11، ص: 36.

[3]- يطالع القارئ التمييز بين المشروعين في محور "حوار العدد" ضمن مضامين هذا العدد.

[4]- حوار أجراه المستعرب "اشتيفان غوث" مع مجلة "مصطلحيات"، العدد الرابع عشر، ضمن باب حوار العدد، منشور بهذا العدد.

[5]- يُراجع الحوار الذي أجريناه مع هذا العالم في "حوار العدد".

[6]- تُراجع قراءتنا لمجهود الدكتور 'عبد العلي الودغيري' في محور "كتاب العدد".

[7]- يطالع القارئ أمثلة عنها في مقال الدكتور عبد الرحمن السليمان (2020)، نفس المرجع، هامش 2 ، ص ص: 37-38.

كما أن المُؤثِّل مدعُوٌّ إلى التفريق بين الألسنة الواقعية كمجموعة الألسنة السامية أو الهندوأوربية أو الحامية والألسنة المفترضة بأنها أصل هذه المجموعات، كما هو حال السامية- الحامية الأمّ (Proto- Hamito-Semetic). يُستحسن أيضا الوعي بالتمييز بين القرابات الجليّة القائمة بين بعض الألسنة المتقاربة (كما هو الحال بين العربية والعبرية، أو بين السنسكريتية وبعض الألسنة الهندوأوربية) والقرابات البعيدة، (كما هو الحال إذا توخّينا إيجاد صلات بين الهيروغليفية واليونانية القديمة أو بين الجرمانية والحبشية على سبيل المثال).

يُلاحظ أن المؤثِّل يتتبّع تطوّر الدلالات للوحدات اللغوية المدروسة مقارنا بين سماتها في اللغة الأصلية مستحضرا مختلف التحولات التي طرأت عليها بعد انتقالها إلى موطنها الجديد مع الوعي بإمكانية انتماء الوحدات لمجموعتين لغويتين متباينتين[1]. ندعو القارئ إلى مقارنة دلالة لفظة "فاطمة" بين اللسانين العربي والفرنسي (Fatima) لا سيما بين الأوساط الشعبية الفرنسية (Fatma)[2]، إذ تدلّ في اللسان العربي على اسم علم للأنثى، يحيل ضمنيا على بنت الرسول (ص)؛ بينما اكتسبت معاني أخرى بانتقالها إلى اللسان الغربي، حينما حملتْ بُعدا قدحيا استهجانيا يحيل إلى المرأة الخادم[3].

° <u>تأثيل المصطلح</u>:

جرت العادة أن يهتمّ المؤثلون بمفردات اللغة العامة، كما يتوضّح من قواميسهم التأثيلية، غير أنّ الواقع أن الحاجة إلى التأثيل تتأكد باللغة العامة واللغات الخاصة على السواء، ذلك أن المصطلحات بدورها تستفيد من الإجراء التأثيلي لكي يطلع المهتمّ بأصولها وتنقلاتها بين ألسنة متعددة والتطورات التي لحقتها طوال عصور تواجدها، لا أدلّ على ذلك أن القاموس التأثيلي الذي صنفه الدكتور عبد العلي الودغيري جلّ وحداته مصطلحات تنتمي إلى قطاعات معرفية متعددة استمدّها اللسان الفرنسي من العربية حينما دعت الحاجة إلى ذلك.

كما تتوضّح فوائد تأثيل المصطلح العلمي حينما يعود المؤثل إلى جذوره الأولى المستمدّة من ألسنة استعملته أول الأمر بالوضع أو بالتخصيص الدلالي.

° <u>على سبيل الختم</u>:

تبيّن مما سبق أنّ الرقيّ باللغة العربية وبالأبحاث العلمية المرتبطة بها رهين بالعناية بالتأثيل، وإبراز دوره في معرفة التحولات التي عرفتها المفردات العربية طوال استعمالاتها منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا بالاستعانة بمبادئ عمل علم التأثيل، أجدرها بالذكر: المعطيات الصوتية والصرفية والمعلومات الحضارية ذات الصلة بالظروف المجتمعية التي نشأت في إطارها كل مفردة،

---

[1]- يشير الدكتور 'عبد الرحمن السليمان' إلى حدوث هذا التطور بين ألسنة المجموعة اللغوية الواحدة، مثال ذلك: الجذر السامي "لحم" بين الأكادية والأوغاريتية والعبرية والعربية، بدلالته أولا على الطعام بصفة عامة، لأنّ " اللحم" كان المصدر الأساس للغذاء عند البدو، فامتدّ على أثر تمدّن الشعوب السامية ليشمل "الخبز". عبد الرحمن السليمان (2020)، نفس المرجع، ص ص: 50-51.

[2]- لنا عودة إلى مشكل المناقلة الصوتية في قراءتنا ل"العربيات المغتربات" في محور "كتاب العدد".

[3]- نشير في هذا المقام إلى حدوث هذا التحوّل بشكل عرضي لا يستهدف النيل من المسلمين بتحقير رموزهم المقدّسة، ذلك أن غالبية الخادمات التي كنّ يعملن بإقامات المستعمرين بدول المغرب العربي يحملن اسم "فاطمة"، فلجأ المُشغّل إلى التخصيص الدلالي بأن جرّد الاسم من علميته، وأطلقه على الخادمة. يُراجع تعليق الدكتور عبد العلي الودغيري (2018) لهذه النقلة الدلالية في: ج1/ ص:515.

كما أن رقيّ اللسان العربي رهين أيضا بضرورة تشمير السواعد للشروع في وضع اللبنات الأساس لقاموس تأثيلي على غرار ما حصل بألسنة العالم المتقدّم، مع تقييم مجهود الخبير الألماني في علم التأثيل 'اشتيفان غوث" (Stephan Guth) الذي يُطالع القارئ حوارا أجريناه معه بمحاور هذا العدد، لكن لنتابع بدْءا جهود الباحث المغربي المخضرم الدكتور 'عبد العلي الودغيري' في تصنيفه قاموسا يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم التأثيل، هو قاموس "العربيات المغتربات".

قائمة المصادروالمراجع:

° ابن جني، الخصائص، تحقيق علي محمد النجار، طبعة دار الهدى، بيروت، مج 1/ 114.

° بنعبد الله عبد العزيز ، "اللغة الأم"، مجلة اللسان العربي: المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، ص ص: 1-7.

° بن عبد الله عبد العزيز ، معجم الأصول العربية في اللغات، مجلة اللسان العربي المجلد الحادي عشر، الجزء الثالث، ص ص: 228-266.

° التهانوي المولى محمد (1996)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفق العجم، دار ناشرون لبنان، الطبعة الأولى.

° حسن حسن جبل محمد (2010)، المعجم الاشتقاقي المُوَصَّل لألفاظ القرآن الكريم (مُوَصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة.

° الرازي الفخر (1992)، مفاتيح الغيب، الكتاب الأول، الباب الأول، المسألة الأولى (الاستعاذة) ج73/1، طبعة دار الغد العربي، القاهرة 1412هـ.

° رفائيل نخلة اليسوعي (1959)، غرائب اللغة العربية، إصدار المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

° السليمان عبد الرحمن (2020)، في ضرورة توظيف علم التأثيل في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية، مجلة مصطلحيات، عدد 11، ص ص: 35-56.

° السيوطي (د، ت)، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق: محمد جاد المولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي ، طبعة عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ.

° شاهين عبد الصبور (1986): العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، مصر.

° اشتيفان غوث"(2021)، حوار أجراه مع هيئة تحرير مجلة "مصطلحيات"، منشور ضمن هذا العدد العدد الرابع عشر.

° صديق حسن خان محمد القنوجي (2012)، العلم الخفّاق من علم الاشتقاق، ضبط وتعليق أحمد عبد الفتاح تمام، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان.

° فاضل عبد الحق (1967)، علم الترسيس، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس.

° الكفوي أبو البقاء (1998)، "الكليات"، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

° الودغيري عبد العلي(2018)، العربيات المغتربات، قاموس تأثيلي وتاريخي للألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرّب، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، الأردن.

° اليعبودي خالد (1995)، محاولة فهم جديدة للاشتقاق والصرف العربيين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بكلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب.

°Baldinger , K (1950), L'étymologie hier et aujourd'hui, in : Cahiers de l'Association internationale des études françaises, T :11.

° Bally Charles(1951) , Traité de stylistique française, Paris, Klincksieck, 3 éd.

° Boutier Marie Guy (2011), Dialectologie, géographie linguistique et étymologie-histoire des mots. Réflexions à partir de l'expérience wallonne

على الرابط:

https://orbi.uliege.be/bitstream/2268/103989/1/Boutier-2011-Lexicon.pdf

تاريخ التصفح: 22-3-2021,

°Brucker Charles (1988), L'étymologie, Presses Universitaires de France, Que-Sais-Je ?

°Guiraud Pierre (1967) ; Structures étymologiques du lexique français, Larousse.

°Guiraud (P) (1979), L'étymologie, coll. « Que sais-Je ? », Paris, PUF, 4° éd.

° Guiraud, P (1962) , Les locutions françaises, Que Sais-Je ?; N° 903.

° Wartburg Walther von (1963) , Problèmes et méthodes de la linguistique. PUF, 1963, 2°